البعدالتاريخي لشعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا".

الأستاذ/ بوقاعدة البشير
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2.

الملخص بالعربية:

تعالج مادة هذا المقال بالدراسة والتحليل الأبعاد التاريخية لشعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: "الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا "، من خلال فكمستلغزاتالأحداث الكاشفة لتجليات تلك الأبعاد في معالجة القضية الجزائرية، وكذا إلى ابرازالجهود التي انتصب لها رجال الاصلاح أو النخب العالمةلإعادة نفخ الروح من جديد في كيان مقومات الشخصية الجزائرية من تاريخ ودين ولغةوفق منابع ومشارب الدين الاسلامي الأصيلة بعد الشوائب التي طالتهاجراء تناسلجهود القيادةالاستدمارية الفرنسية بما تنطوي عليه من أمشاج متشابكة ومتشعبة تهدف إلى القضاء المبرم على نسيج المقومات والثوابت الناظمة لكينونة المجتمع الجزائري،بالإضافة إلتحيين سبلالنهوض الحضاري بالمجتمع الجزائري وتطبيب جراحه.

Abstract :

This article treats the historical problematic related to the identification of the historical dimension of the slogan of the Association of Algerian Islamic Scientists "Islam is our Religion, Arabic is our Language, Algeria is our Country" , The aime is to show the efforts of scientists to form the Algerian personality, and to create ways of civilizational revolution in Algeria, renew Arabic language, and elaborate citizenship according to the original principals of Islam. This is by showing the reality of the French colonization policy with its hidden and direct goals, and the bases on which it has built its policy to achieve its great goal. This goal is to separate the Algerian society from his citizenship, religion and language. This is because when it succeeds in that it becomes easy for leaders of colonization in Algeria to realize all their goals. Thus coming up with a society which does not know his identity, and which will for sure accept everything without looking at it.

مقدمة:

لما اشتدّت ضغوط الاحتلال الفرنسي في ثلاثينيات القرن الماضي على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها من لغة وتاريخ وثقافة وحضارة، أنجبت الحركة الوطنية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛فكانت هذه الأخيرة منبرا رائدا للإصلاح على تشعّب مناحيه بقيادة كوكبة من العلماء والمصلحين المدجّجين بسلاح الدين الاسلامي والعروبة والوطنية الجزائرية، ذلك أنّهم وقفوا على حقيقة الجسور المتينة التي تربط الاسلام باللغة والجزائري بوطنه ودينه ولغته، وأثر ذلك الفعال في ردء الصدع الذي تسعى الادارة الاستدمارية أن تزيد من عمقه وفجوته في أوساط الفئة المريضة –التي أنجبتها–، وتوسّعه ليشمل من لا تزال مناعته سليمة. وقد نجح العلماء في مسيرة التوعية، وبعث اليقظة، واحياء الضمير، وتطوير الثقافة العربية الاسلامية، وتوحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة والاسلام والوطن، وصدق البشير الابراهيمي حين قال: ''ان جمعية العلماء تدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والاسلام مجتمعين في وطن''.

تأسيسا على ما سبق، فقد لفت انتباهنا ونحن نخوض غمار البحث في تاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأن دراسة شعارها: ''الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا ''بالرغم ممّا حظي به من دراسات جادة لفكّ الكثير من مستلغزات الحدث وتجلياته في معالجة القضية الجزائرية آنئذ، فإنّ هناك أبوابا لا تزال لم تطرق بالشكل الذي يفي الحدث بالدراسة حقّه، ومن ذلك ابراز البعدالتاريخي لهذا الشعار وامتدادات أمشاجه في جسم المجتمع الجزائري وتطبيب جراحه، من خلال الاسهام الفاعل للنخبة العالمة والشريحة التي حملت على عاتقها مهمة الاصلاح. ولا يراودنا الشكّ قيد أنملة، أنّه زمنئذ كان تكثيف الجهود لإعادةنفخ الروح من جديد في كيان مقومات الشخصية الجزائرية، وبعث سبل النهوض الحضاري بالمجتمع الجزائري، واحياء اللغة العربية، ومدّ روافد المواطنةلعناصر جسمه وفق منابع ومشارب الدين الاسلامي الأصلية والأصيلة، يعدّ قوام الاصلاح وعمود سنامه. وهو ما نأمل أن تضطلع بكشفه العناصر البحثية الموالية.

1◄ - معاول الاستدمار لتهديم الشخصية الجزائرية:

إنّ الحقيقة التي لا مناص منها أنّ المحتل الفرنسي موازاة مع فشل كل مشاريعه الاستدمارية لتحطيم كل ما له صلة برفع لواء المقاومة ضدّه من طرف الجزائريين على اختلاف القيادة التي امتطت جواد هذه المقاومة، ازدادقناعة –مع مطلع القرن العشرين– أنّ طول عمره في الجزائر –مُحتلّا– قرين بموت الشخصية الوطنية الجزائرية المتجذّرة في أعماق الفرد الجزائري، كما بات يدرك يقينا أنّ جهوده العسكرية ينبغي أن تُركّز في هذا المنحى، وإلاّ فإنّ أجله في الجزائر قريب ما دامت تلك الشخصية حيّة.لأجل ذلك بسط الفرنسيون أيديهم على كل ما له صلة بالقضاء عليها؛ إذ سيطروا على التعليم والسياسة والصحافة واللغة والدين، وعلى كل المؤسسات الاجتماعية، وتفنّنوا في خلق النظريات الهدامة للقضاء على الأخلاق والقيم والمثل السامية، وتحطيم القوى الروحية للمسلمين الجزائريين بنشر الرذائل والفسق والفجور،كما حاولوا ربط الحضارة العربية الجزائرية بما يتّصل بالغرائز الحيوانية، والترف النفسي واللهو المخدّر، وغرس كل سموم الفساد التي من شأنها أن تضعضع كيان الأمة الجزائرية وتدفع بها إلى الهلاك[1].

لذلك فقد عُدّ السلاح الفتاك إلى جانب

أسلحة الدمار التي تستعين بها فرنسا لتكميم أفواه الجزائريين عن النطق بالحقيقة وقطع كل آمالهم في الحلم بالاستقلال، هو سلاح رجال الدين أو دعاة التغريب؛ الذين ينتصبون في جهود فرادى وجماعات لإثارة الشكوك حول الاسلام باعتباره المحرك الرئيس لآلة المقاومة والصبر والجلد، والمورد الذي لا ينضب المزوَّد بالطاقة للشحن، والقوة الدافعة للشعب الجزائري للتمسّك بحقه في الحرية والسير إليها بكل ما يملك، ليعتق رقبته من ربقة العبودية وذل التبعية للمحتلّ[2].

إنّ وعي القيادة الاستدمارية الفرنسية في الجزائر تمام الوعي بنجاعة ذلك النهج إن أفلحوا في مسعاه، جعل رجالها يفتّشون في أوكار الخديعة والمكر والكيد وكلّ ما يفي بالغرض ولا ينتمي أبدإلى قيم الانسانية وشروط التحضر، فأوجدوا لذلك سبلا شتى رأوا فيها ملاءمةالقدرة على احتواء الجزائر أرضا وشعبا ومعتقدا في كيانهم الغربي، وطريقا معبّدا لازالة كل عقبة من شأنها أن تحول دون طموحهم للظفر بالجزائر إلى الأبد، وفي طليعة ذلك ضرب الجزائري وطعنه في دينه الاسلامي ولغته العربيةووطنيّته وانتماءاته الأصلية[3].

ولتذليل صعاب ذلك الصنيع المشين، كثّفوا من الدراسات التحليلية المعمقة لنفسية المجتمع الجزائري وأحواله العامة والخاصة، بحثا عن مداخل يخترقون بها منظومة مناعته، فأوجدوا لذلك أبوابا كان من زمرتها"باب التصوف"،ذلك أنّهم رأوا أنّ التصوف قد احتل مكانة هامة في مخيال المجتمع الجزائري خصوصا في ظلّ المكانة المرموقة التي يحتلّها شيوخ الصوفية في مخياله وعقله وحضور لمساتهم الفاعلة في سلوكياته ومقدرتهم العالية على توجيه مساراته وتحديد مواقفه، وانطلاقا من هذا المرتكز وغيره تقرّبوا من بعض شيوخ الصوفية واستطاعوا أن يستميلوهم إلى صفّهم ويُطوّعوا جهودهم لصالحهم ويتخذونهم كأداة لتمرير سمومهم إلى عقل الجزائري من قبيل أن يُقنعوهبأنّ هؤلاء الشيوخ هم أولياء الله الصالحين الذينيمنعون الرزق ويبسطونه لمن يشاؤون ويملكون مفاتيح الغيب ونحو ذلك ممّا لا يمت بصلة لأصول الدين الاسلامي ومعتقداته، وصرف عقله عن ادراك حقيقة الدين الاسلامي وأصوله الصحيحة، وقد نجحوا في ذلك –ولو بشكل نسبي– من حيث أنتجوا عقلا جزائرييؤمن بالخرافة ويعتقد بالشرك ويتعصّب إلى المذهب. ولعلّها الرؤية التي بسّط لها أبو القاسم سعد الله حين قال: بأنّ هناك من رجال الزوايا والطرق الصوفية من لا يزالون على عقائدهم القديمة وفي عزلة من تقلبات العصر وتجدّد الفكر الانساني، بل وازدادوا جمودا –في ظل السياسة الفرنسية– وبعدا عن واقع الشعب الجزائري ومعاناته اليومية، حتى أنّ بعضهم عن وعي أو غير وعي أصبح أداةً في يد السلطة الفرنسية لإبقاء الجماهير خامدة جامدة سهلة على الاستغلال والسيطرة الاستعمارية[4].

إنّ الحديث عن سياسة الفرنسيين للقضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية بكل مقوماتهالا يسعه في حقيقة الأمر هذا المجال الضيق الذي خصّصناه له في هذا الموطن من دراستنا هذه فضلا عن أنّه ليس القصد بعينه بالدراسة، وحسبنا من صنيعنا هذا –حالئذ– الوقوف على أبرز ملامحها لنكشف عن طبيعة المناخ الذي ساهم في تعكير صفو حياة الجزائري بشتى مناحيها، وتجليات العمل الاصلاحي وتمظهراته،ذلك الذي انتصب له علماء الجمعية ومن ركب سفينة الاصلاح في الجزائر زمنئذ، والذي سنطرقه بشكل أكثر تفصيلا ممزوجا مع مادة هذه الدراسة في باقي عناصرها حسبما هو مسطور في أهدافها.

2 - العلماء و سبل الوقاية:

أمام هذه الجهود المبذولة من طرف ادارة المستدمر لطمس كل ما هو ذو صله بشخصية الجزائري،

كان من بين أسوار الوقاية وقلاع المناعة التي كانت درعا حصينا ساهم في حماية الشخصية الجزائرية، هي جهود العلماء المسلمين الجزائريين بين ضلوع جمعية العلماءأو على متنالسفينة التي ركبوها لعلاج كافة الأمراض والسموم القاتلة –التي نجح المستدمر في بثّها في جسم البعض من الجزائريين ويسعى لتعميمها على البقية– وصياغة الدواء الكافي والشافي للقضاء عليها،وبعث الروح في جسمه من جديد، لتنمو مناعة الجزائري وتقوى حواس شخصيته وهويته في صدرهوعقله، فتكون نبراسا ينير دربه ويدلُّه على حقيقة مخطّطات المستدمر ومراميه القريبة والبعيدة،كما تقوى عزيمته على المقاومة والجلد عليها لإفشال تلك المخطّطات العسكرية والسياسية والاجتماعية والدينية التي تعمل فرنسا على بناء عرشها على بساط عقله ومجال وطنه.

إنّ جهد العلماء هذا، يحتاج في حقيقة الأمر إلى القوة والديناميكية المتنامية، وإلى المناهج والطرق الكفيلة بزعزعة تلك المخطّطات وزلزلتها، ورأب الصدع الذي أحدثته في جسم الشخصية الجزائرية في أهمّ جوانبها؛ وهو ما لم يغفل عنه علماء الجمعية وفي طليعتهم عبد الحميد ابن باديس، البشير الابراهيمي، مبارك الميلي، الطيب العقبي وغيرهم كثير.ذلك إنّ مهمة علاج السموم الفرنسية هذه، تقتضي منهم التشخيص الجيد لمواضع ومواطن الضعف التي تسلّل من خلالها السم إلى الجسم، وبناء الوصفة الطبية بإحكام تام، يُراعى فيها كل الجوانب التي فتك بها ذلك السم، وصياغة الدواء الشافي الذي يحتوي على مزيج كل المركبات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية التي تشكّل هوية الجزائري وشخصيته صياغةً قادرة على احياء ما مات، وتقوية ما هو ضعيف، وترسيخ ما شابه الشك، وشدّ عضد ما لا يزال حيًّا، للحفاظ على سلامته وليكون عونا لهم في أداء المهمة ذاتها.

إنّ هذه المقاومة الجزائرية الضارية التي قادها أساطين علماء الجمعية لتحطيم كل الجسور التي أقامها المستدمر الفرنسي للوصول إلى عقل وقلب وفكر ومعتقد وشخصية الجزائري، وجدت جنودا وأتباعا يقفون وراءها لتحقيق الغاية.

وأجدني من خلال هذه الدراسة أسعى للوقوف على هذا النشاط –وليس بتوسّع وإنّما بشكل مقتضب– من خلال شعار الجمعية السالف الذكر، والذي يحمل دلالات عميقة عمق الحضارة الجزائرية وعمق ماضيها السحيق؛ دلالات ترسم مسيرة شعب لم ينقطع عن المقاومة في سبيل ترسيخ هويته والحفاظ على أصالته ومكونات شخصيته، وحماية أرضه وضمان أمنه وسلامته، مسيرة شعب لم يكلّ ويملّ عبر تاريخه المجيد عن الوقوف في وجه من يستهدف المساس بعقيدته ودينه ومعتقداته الاسلامية الثابتة الراسخة، التي ساهم أبان فترة الفتح الاسلامي في تشييد صرحها على أرض المغرب يوم كان هو الجندي والزاد والدليل والترجمان، كان الفاتح والمقاوم للفاتح قبل أن يعي رسالة الفاتحين؛ فقاوم وفتح، وانهزم وانتصر، فكان الفتح المجيد الذي أقبل على البلاد بعهد جديد حين ألقى الاسلام بضلاله على بلاده، وتشبَّعت نفسه بتعاليمه، فأصبح جزءًا من كيانه؛ يحارب لأجله كما يحارب للحفاظ على روحه، بل يبذل روحه للحفاظ عليه، فيموت هو ليحيا غيره به.

تأسيسا على ما تمّ بسطه تخمّرت في أذهاننا جملة من التساؤلات نوجزها في: ما هي الأبعاد التاريخية التي ينطوي عليها شعار الجمعية يا ترى؟وإلى أيّ مدى ارتسمت ملامح شخصية الجزائريبكلّ مقوماتها على ضوئه وحجم تفاعله الايجابي مع مضامينها؟ وإلى أيّ حدّ شكّلت مقوّمات هذا الشعار مصلالتمتين الجسور التي تربط حاضر الجزائري بماضيه، وحاضره بمستقبله؟

3◄ - شعار الجمعية، الأبعاد والدلالات:

كتب الشيخ ابن باديس (1889 -1940) سنة 1935 عن جريدة المنتقد[5] التي أنشأها سنة 1925 قائلا: ''انها كانت تلفت انتباه الجزائريين المسلمين إلى حقهم في أخذ مكانتهم بين الشعوب وتبيّن لهم بأنهم يشكّلون وطنا له لغته ودينه وتاريخه[6]''. وهي دعوة صريحة من رئيس جمعية العلماء المسلمين لكافة الجزائريين للانقلاب على واقعهم المرير الذي يعيشونه بين جدران سجن الاحتلال؛ ذلك الواقع الذي تشربفيه شرائح عريضة من عناصر المجتمع الجزائري من كأس الجهالة التي تسقيهم آياها سياسته التدميرية،وتغيير تلك الظرفية التي تعصف بين طيّها أعاصير التبشير والتمصير بمعتقد الجزائري ودينه تروم اقتلاعها من جذورهماوبناء على صرح عقله وقلبه حضارة ومعتقدا دخيلا على جسمه وغريبا عنه، كما هي دعوة أيضا لتعطيل جهود قوى الغرب المسيحي التي تستهدفوطنية الجزائري وشخصيته ليتنصّلمن أصله وينسلخ من جنسه وينفصل عن لغته ودينه.

إنّ هذا الواقع –لا ريب– يقتضي من فئة المصلحين وشريحة العلماء انقلابا جذريا عليهمن خلال خوض حرب ضروس على الأفكار الهدامة والمعتقدات الباطلة، والسعي الحثيث لِلمّ شمل الجزائريين تحت راية الدين الواحد واللغة الواحدة والوطن الواحد، وذاك هو ما اتّخذه العلماء المسلمون الجزائريون شعارا للجمعية التي أسّسوها في الخامس من ماي سنة 1931،وسعوا سعيهم الحثيث لتحقيق بنود ذلك الشعار على أرض الواقع الجزائري، كيف لا، وهو شعار يحمل بين طيّ بنوده أبعادا تاريخية هامة ودلالات عميقة عن هوية الفرد الجزائري.

والحق، أنّ علماء الجمعية –كما هو مدوّن في مصنفات المصادر على تنوّعها– ركّزوا جهودهم على تصحيح المفاهيم والمغالطات التي نثرها المحتل على فراش عقل الجزائريين حتى تُذهب وعي هذا الاخير، فيصبح أسير ما يُملَى عليه؛لا يُحقّقُه أو يمحّصه وإنّما يبتلعه كما هو، فيكون عندئذ فريسة سهلة المنال حتى وبدون فعل الصيد. كما ركّزوها على بناء الثقافة العالية في هذا العقل للنهوض بصاحبه لإدراك المجد والحرية وقيادة نفسه بنفسه، ونبذ التعصب الديني والمذهبي وكل أشكال الفُرْقَة والانحراف عن جادّة الصواب، ومقاومة كل من كان يد ضاربة ضدّ الجزائريين من أبناء جلدتهم شأن بعض الطرقيين المنحرفين[7]. فالذي يقف على مقالاتهم الصحفية ومحاضراتهم وكتاباتهم المختلفة يقف على دعوة صريحة للجهاد ضد المحتل ووعي فائق لواقع الشعب الجزائري المرير، وجهد ملحوظ لإحياء الاسلام والعروبة في الجزائر، كما جاء في جريدة ''لسان العرب''سنة 1947 بأنّ أهداف الجمعية تتلخّص في نقطتين مهمّتين هما: ''احياء ما اندثر من تعاليم الاسلام، واحياء ما مات من مظاهر اللغة العربية''[8].

جاء في مجلة الشهاب –التي أنشأها ابن باديس سنة 1925 بعد منع المنتقد من الصدور،تحت شعار: ''تستطيع الظروف أن تكيفنا ولا تستطيع بإذن الله اتلافنا''– في عددها الصادر في ماي من سنة 1934 أنّ هدف الجمعية يتمثل في: ''اصلاح الشعب الجزائري العربي من الوجهة الدينية، والوطنية، والأدبية والعلمية''[9].أمّا محمد خير الدين وهو أحد أعضاء الجمعية، فقد ضمّن أهداف الجمعية سنة 1935 في مقولته: ''إنّ أهداف جمعية العلماء تتمثّل في احياء الاسلام بإحياء الكتاب والسنة، وإحياء اللغة العربية، وآدابها، وإحياء التاريخ الاسلامي وآثار رجاله المخلصين[10]، ولتنجلي أمامنا أبعاد شعار الجمعية التاريخية، رأينا أن نطرقه بندا بندا، كما هو آت تفصيله تبعا:

♦ أ- الاسلام ديننا:

كان الأساس الأول الذي ارتكز عليهشعار الجمعية هو ''الاسلام ديننا''؛فالإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للبشرية قاطبة دينا للهداية والسعادة الأبدية، وبه بعث الرسل هداةً؛ فكان آخرهم محمد –صلى الله عليه وسلم– وهذا عملابما جاء في قوله تعالى: ''إنّ الدين عند الله الاسلام''[11]. وأساس الاسلام هو التوحيد،وكتابه القرآن؛ الذي تفسيره يكون بالسنة الصحيحة، أمّا البدعة فهي كل شكل من العبادة التي لا أصل لها في السنة[12].

أمّا الاسلام الذي كانت فرنسا ترتضيه للجزائريين دينا؛فهو ''الاسلام الميت'' الذي لا روح لهوإنّما الجسد فحسب، هذا إن رضيت به جسدا. ولا غرابة أن تروم فرنسا للجزائريين دينا يدعو إلى فساد العقول وانحطاط الأخلاق؛ دينا لا ينفع صاحبه، وبالأحرى دينا لا يحمل من الاسلام إلاّ اسمه. حتى أنّ أحد المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر وهو ''روبير أجيرون'' يُسمِّي الاسلام في فترة الاحتلال باسم ''الاسلام الجزائري''؛ وكأن للجزائر اسلاما خاصّا بها يتميّز عن الاسلام الحقيقي الذي عليه الأمة الاسلامية. ولا غرابة أيضا، أن يصدر هذا القول من هذا الكاتب الفرنسي المعادي للقضية الجزائرية؛ فالسياسة الفرنسية –كما قلنا– لا يروق لأصحابها إن فضّل الجزائري الاسلام على النصرانية، وعجزت عن سجنه مرغما بين جدران هذه الأخيرة، وإنّما يروق لها أن يغترف الاسلام الزائف الذي تنسجه هي وفق ما يخدم مصالحها التدميرية.

كما لا يختلجنا الريبحالئذ أبدا، أنّ الاسلام هو الطريق السليم الذي إن سلكه الشعب الجزائري أدرك غايته المنشودة، غايته في الحرية والاستقلال وفي التقدم والرقي، وفي التماسك والوحدة الوطنية، وفي تحقيق الأخوة والمحبة الانسانية، وفي نبذ الظلم والعبوديةونصرة المضطهدين بين مخالب المحتلِين والغاصبين. ومن هنا، ومن خلال ما أمطرته سحب المحتل الفرنسي من خرافات وشوائب وضلالات على أرض الاسلام في الجزائر، وشربت منها بعض العقول والأنفس من أبنائها، سعت جمعية العلماء إلى تجفيف تلك الينابيع التي أحدثتها وتطهيرها، وإحلال محلّها الاسلام الصافي النقي، وذلك من خلال النشاط التعليمي والتربوي الذي انتصبوا له في المدارس والمساجد ونحو ذلك من مؤسسات التعليم والتربية والوعظ والارشاد[13].

ولا مريةكذلك، أنّ كل علماء الجمعية كانوا متشبِّعين بالأفكار المعادية للاستدمار، وبالروح المتّقدة حماسا لإحداث التغيير والثورة ضدّ أفكار المحتل الضالة وضلالاته المضلِّلة، وعلى الجمود الفكري الذي نجم عن سياسته لوأد الثقافة الجزائرية العربية، كما تشبّعوا بالمبادئ الداعية إلى العودة إلى منابع الاسلام الصحيحة الصافية النقية التي سار عليها سلف هذه الأمة، وتطهيره من كل الشوائب والبدع والخرافات التي أنتجها المحتل سعيا منه لعزل الاسلام عن روح الحضارة والعصرنة وحبس أصحابه بين جدران سجون الجهل والشرك والبداوة[14].

بناء على ما ينطوي عليه هذا الأساس من أهمية بالغة في حياة الفرد الدنيوية والأخروية، وضعه ابن باديس ورفاقه الفصل الرئيس في شعار الجمعية لا يحيدون عن مبادئه ولا يزيغون عنالعمل لإحيائها قيد أنملة، وفي هذا المضمار يقول عبد الكريم بو الصفصاف: وكأن ابن باديس ''يريد أن يقول للشعب الجزائري على اختلاف مشاربه ومذاهبه، أنّ الاسلام هو مناط الفخر والاعتزاز، وهو ما يجعل المسلمين مطالبين بالتعرف عليه والتمسك به، وتطبيق أحكامه السمحاء التي تمكّنهم حتما من التقدم والرقي''[15].

إنّ الاسلام في بعده التاريخي بالنسبة للجزائري، يعتبر هو الذي وحّد أجداد الجزائريين بدعوته السمحاء إلى الأخوة والتضامن والمحبة فيما بينهم وبين عناصر الانسانية قاطبة، وهو الذي سوّى في الكرامة البشرية والحقوق الانسانية بين شتّى الأجناس والألوان والأعراق التي شكّلت كيانه في الماضي. وليس دعاوي المحتل الباطلة التي يتبجّح بها باسم مبادئ الديمقراطية الفرنسية الزائفة والمدنية الأوروبية الخادعة، التي لا تمتّ للإنسانية بصلة، كيف لا، والتمييز بين الأوروبي والجزائري في شتى مظاهر الحياة هو عمود السياسة الفرنسية وسنامها؛ فالعدللا يقوم عندهاإلاّ على أساس المنفعة والعرق واللون ونحوها من الأمور المقيتة التي ذمّها الاسلام ودعا إلى اجتنابها.

ولو رجعنا إلى ماضي الجزائر وتاريخها المجيد الحافل بالأحداث بعد فترة الفتح الاسلامي لوقفنا على مجتمع متماسك رغم اختلاف الألوان المكونة لجسمه، مجتمع يضم أخلاطا من البربر والعرب والترك وحتى العجم امتزجوا في طينة واحدة شدّ تماسكها وصقلها الاسلام في قالب واحد، دفع عنها كل نعارات الجاهلية المقيتة من مظاهر التمييز والفرقة والتباين والاختلاف، وحتى وإن حدث اختلاف في الفكر والرؤية كان الاجتماع في الحل والمخرج الذي يُشير به علماء الاسلام استنباطا من الشرع الصالح لكل زمان ومكان. وكان هذا الاتحاد قوة في وجه الخطر الخارجي الذي كثيرا ما أحدق بالبلاد وكانت المقاومة هي السبيل لتأمين البلاد وحدودها، بل وأكثر من ذلك، فقد اجتمعوا كتلة واحدة لتحقيق مطامح التوسّع والسيطرة لتوحيد البلاد تحت حكم واحد كشأن ما قام به أجدادنا من مثل حماد بن بلكين(405-419هـ/1014-1028م) في العهد الحمادي من جهودللاستقلال بمنطقة المغرب الأوسط والانفصال عن الأسرة الزيرية خصوصا بعد تأسيسه لقاعدة بلاده العسكرية الحصينة وعاصمة دولته المستقبلية مدينة القلعة، والذي كان له الفضل في رسم ملامح الكيان الجزائري في العصر الوسيط[16]. ثمّ واصل بنوه مسيرة الحفاظ على هذا الكيان، والسعي لضمبلادالمغربالأدنىلحظيرة سلطانهملتوحيدالبلادالمغربيةتحتحكمالسلطةالصنهاجية شأن ما قام به الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1089م) ،وكذا المنصور (481-498هـ /1089-1106م)[17].

ولكن لما وقعت الجزائر بين مخالب المحتل الفرنسي شرع في تنفيذ مشروعه التدميري للبنية الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية للجزائري، حيث اختار لمشروعه ذاك أنجع الوسائل وأقدرها وأنكاها، وكان من الأوتار التي لعب عليها، هي العزف في أذان العامة من الفقراء والمحرومين والجهلة والمستضعفينعلى نغم النزعة البربرية المقيتة، من خلال السياسة المعروفة ''بفرّق تسد''. وبذلك عمل المحتل على التمييز بين الشعب الجزائري المسلم، وذلك بإشعال نار الصراع المذهبي وتأجيجها، وزرع مظاهر الجهوية والفرقة والعنصرية والعصبية القبلية وتدعيمها، حيثاعتقد أنّ عقول سكان القبائل أكثر خصوبة لزرعها ونموها، بزعمه أنّ اسلامهم سطحي، وأنهم أعداء فطريون للعرب[18].

والمحتل في هذا المنحى، يعتبر القبائل شعبا منحدرا من الغاليين والرومان والبربر المسيحيين من العهد الروماني، وحتى من الوندال، ولأجل هذا تنامت طموحاته في أن يعتمد عليهم في احياء مجده الضائع المزعوم بالجزائر، وربط شعبها بأصله وجنسه، وكان من مظاهر سياسة التفرقة بين الجزائريين، أن تُمنح امتيازات لبعضهم، ويُحرم البعض الآخر منها، كإعطاء القبائل تمثيلا خاصّا في المجالس المالية[19].

ولا ريب أنّ هذا الاجراء من شأنه أن يُحسّس الجزائريين المخمورين بنبيذ السياسة الفرنسية الجهنمية

الاغرائية بالفرقة والتمييز، بدعوى هذا بربري وهذا عربي، ويجد مع مرور الوقت وتصاعد سياسة التمييز إلى قلوبهم طريقا مُعبّدا للاقتناع بمخطّطات المحتل التمييزية.

أمّا الحقيقة التي لا مناص منها، فإنّ البربري أو الأمازيغي كان قد فتح قلبه وعقله للإسلام مذ عرف حقيقة هذا الدين الجديد ونبل وسمو مبادئه وتعاليمه وصلاحيتها لكل زمان ومكان خلال القرن الأول من الهجرة السابع للميلاد، بل والأكثر من ذلك أنّ البربر كانوا يعتزّون أيّما اعتزاز بالإسلام ويفتخرون بالانتساب إليه مذ مرحلة الفتح وإلى يومنا هذا.

ولم تكن حيلة المحتل الفرنسي التفريقية لتنطلِ على سكان القبائل الجزائريين، وإنّما من وقع في شباكها كان سيقع بربريا كان أو عربيا، ذلك أنّ هذه الفريسة المصطادة كانت تعيش فراغا روحيا وعلميا وتاريخيا، نتيجة حالة الجهل والفقر الذي تعيشه، وألوان السياسة الاغرائية الفرنسية لزعزعة أركان اسلامهم ووطنيتهم وعروبتهم؛ فضحايا سياستها خليط من العرب والبربر الجزائريين المسلمين، الذين سُلِبت شخصيتهم لصالح المدنية الغربية الزائفة.

وإذا كانت الجمعية قد سعت إلى التقريب المذهبي بين المالكيين والأباضيين والبربر دون تمييز من حيث الأصل والمذهب، حيث ضمّت بين أعضائها عناصر مذهبية متنوعة من أهل السنة ومن الاباضية بهدف خلق كتلة موحدة تضم جميع المسلمين الوطنيين الذين سخّروا حياتهم وعلمهم في سبيل الجزائر عن طريق التعليم والتربية والنضال السياسي ونحوها، فإنّ مجتمع المغرب الأوسط (الجزائر) قد اجتمع في العصر الوسيط وتماسك على اختلاف ألوان المذاهب التي اعتقدها بنو جلدته.

في ذات المضمار، يقول أبو القاسم سعد الله عن جمعية العلماء المسلمينبأنّها ضمت خليطا من العلماء جاءوا من مختلف أنحاء القطر الجزائري ومن مختلف الاتجاهات الدينية؛ فكان فيهم المتطرّفون وهم المصلحون عندئذ، وفيهم الرجعيون وهم غير المصلحين من رجال الدين الجزائريين[20]. وحتى وإن اختلفت منطلقات هذا الخليط الفكرية بشأن طريقة الاصلاح ومظهره، فإنّها كانت تلتقي في محطات عدّة أبرزها أنّ الألم الذي تعيشه مصدره واحد وهو المحتل الفرنسي، بل إنّ الرؤية الاصلاحية التي يتبناها العلماء المصلحون من مثل ابن باديس ونظرائه كانت هي السائدة، وفق ما سطّروه في أهدافها العلنية مثلما ضمّنه شعار الجمعية، وكما يقرّه السيد ''جوزيف ديبارمي'' الذي رأى سنة 1932 أنّ أهداف جمعية العلماء تتمثل في ''فهم لغة القرآن، والعودة إلى الثقافة الاسلامية القديمة، واعتبار المغرب العربي كقلعة للعبقرية الشرقية في وجه الغرب، وتنقية وتبسيط الدين الاسلامي[21].

ولا يختلف اثنان في أنّ بداية تشكّل الاطار الجغرافي للجزائر الحالية عقب مرحلة الفتح الاسلامي يرجع إلى عهد دولة بني رستم التي تأسّست سنة 160هـ/ 776م، هذه الدولة ذات المذهب الاباضي التي كانت عاصمتها تيهرت، والتي كانت تضم أخلاطا من الاباضية والمعتزلة والشيعة والمالكية[22]. وبسقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/ 909م وخضوع اقليم المغرب الأوسط للسيادة الفاطمية الشيعية، وعلى الرغم من الفوارق الشاخصة بين المذهب الشيعي والمذهب السني المسيطر على البلاد الجزائرية (المغرب الأوسط) فإنّ ذلك لم يمنع من أن يعيش هذا المذهب الغريب بين أظهر المغاربة السنة المالكية. ولقد حدث التعايش المبكر بين أهل السنة مع القادم الفاطمي أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب الأوسط وبالضبط إلى أرض كتامة التي حمته وأوته ونصرته، بل وكانت ساعده الأيمن للقيام بمهامه العسكرية لتأسيس دولة الفواطم على أرض

المغرب، ولم تُحدِث الفُرْقة بين أهل المذهبين بشكل كبير إلاّ بعدما أظهر الشيعة الفاطميين تعنُّتا في مذهبهم ومبالغات لا تمتّ بصلة إلى الدين، وفوق ذلك سعوا لنشرها في البلاد طوعا وكرها، عندها كان النفور شديدا بين أهل السنة المالكية والشيعة، وانتهت مسيرة الصراع بينهما بعد انتقال الفاطميين إلى أرض مصر بطرد الشيعة من المغرب الأوسط وسيطرة المذهب السني المالكي[23].

وهذا في حقيقة الأمر، ما كان يمنع من وجود بعض المذاهب الغير سنية بين أوساط مجتمع المغرب الأوسط في عهد الحكم الصنهاجي ولا حكم الموحدين وحتى الزيانيين للبلاد، بل وبمجيئ الترك العثمانيين تعايش المجتمع الجزائري مع هذه العناصر الغير عربية وكان القاسم المشترك وموحّد المقامات هو الاسلام.

لذلك فلا خير للجزائريين إلاّ في اتباع الاسلام دينا خالصالأنه الأضمن لسعادتهم، وأنّ كلّ الشرّ في الانخداع والانسياق وراء الاغراءات التي تُسوِّق لها فرنسا لخداع المغرورين بمظاهر المدنية الزائفة والعدالة الاجتماعية التي هي أبعد في مظهرها عن الانسانية بل هي أقرب إلى الدعوات المتطرفة التي تعرقل سير الحضارة الانسانيةوفقا للسليقة البشرية.

لقد رام علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صياغة هذا الشعار القول: أنّ الاسلام هو دين العالمين، وهو دين الجزائريين أبا عن جدّ، دين يمتدّ بالجزائري إلى مرحلة أجدادنا الفاتحين. والحق أنّ هذا المبدأ معلوم بالضرورة، فكانوا عندها يرومون أكثر من ذلك، وهو التأكيد للمحتل الفرنسي-المغتصب لحق غيره والمستعبد للبشر والزاعم أنّه جاء لنشر رسالة الحضارة واخراج العباد من حياة التخلف إلى حياة الرقي والحضارة ومن حياة التعصّب والظلم إلى نور العدل والديمقراطية في النصرانية المحرفة-،أنّ مبادئ الاسلام الرفيعة ليست وليدة العصر بل كان العدل في الاسلام هو وكل مظاهر الرحمة والحياة الكريمة خالد في تاريخ الاسلام والمسلمين. وهي دعوة من العلماء للمحتل للوقوف على ذلك من جهة، ومن جهة أخرى دعوة للجزائري المسلم إلى الرجوع إلى منابع الاسلام الصافية الطاهرة.

يقول ابن باديس بشأن التحام الشعب الجزائري العربي الأمازيغي تحت راية الاسلام: "إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ، قد جمع بينهم الاسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج بينهم في الشدة والرخاء وتؤلّف بينهم في العسر واليسر وتوحّدهم في السراء والضراء حتى كوّنت منهم خلال أحقاب بعيدة، عنصرا مسلما جزائريا أمّه الجزائر وأبوه الاسلام[24].

وكأنّ ابن باديس يريد أن يقول: هل يُعقل أنّ صبيا صغيرا يرضى أن تُطلَّق أمّه ويفترق أبويه، فيعيش حياته يتيما؟ كلا ولا، كذاك هو الاسلام والشعب الجزائري، لا يمكن أن تفصل بينهما الدهور وعادياتها ما دام من صقل بينهما ووحّد بينهما وشيّد بنيانهما الواحد هو الاسلام، دين الله الواحد للبشر أجمعين.

ومن شروط نجاح الاصلاح والدعوة أن يكون المصلح والداعي خير قدوة، لذلك كان علماء الجمعية قدوة في الصلاح والتمسّك بمبادئ الاسلام، وذلك سبيل إلى لفت أنظار النخب العلمية والثقافية على اختلاف مشاربها إلى كنوز المدنية الاسلامية السمحة، لتحذو حذوها في مسيرة الكشف عن أباطيل المستدمر وسياسته المنتهجة، وللوقوف على تصوّر منطقي سليم للحياة في كنف الحضارة الاسلامية بعيدا عن التعلّق بالزائف المنسوج بخيوط في ظلام.

أمّا النجاح الحقيقي من خلال ما يرتضيه شعار الجمعية هذا، هو أن يُفلحوا في تطهير العقيدة

من كل شائبة قاتلة، لأن العقيدة هي أساس الدين، فإن صلُحت العقيدة فإنّ ما بعدها أيسر للصلاح ويكون صائبا، أمّا إن فسدت العقيدة، فإنّ ما يتبعها فاسد وإن إن بدا صالحا، وهو ما يصدق فيهقول الله تعالى: ''إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء''[25].

لذلك أولت الجمعية عناية فائقة بعملية تطهير العقيدة من الشكوك والأباطيل التي علقت بها من جرّاء بعض الممارسات الطرقية التي خذّرت عقول الجزائريين من العامة، من الذين أوهمهم بعض شيوخها أنّهم واسطة بينهم وبين ربهم، بل إنّ بعضهم بلغت به الجرأة على الله أن يدّعي الألوهية، وكذلك من جراء نشاط الكنيسة المعادي للإسلام لتشويه الاسلام في عقول البشر من العامة طبعا، لأن الاسلام محفوظ من الله، يقول تعالى: ''إنّانحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون''[26]، حتى قيل أنّ علماء الجمعية هم الذين أحيوا حقيقة الاسلام باثّين في الشخصية الجزائرية وعيا دينيا، وقوميا[27].

كما أنّه على ضوء شعار الجمعية هذا، ينبغيأن يكون حجر الزاوية في الدعوة والاصلاح لتحرير البلاد من ظلم الاستدمارالارتكاز بشكل أساس على امتلاك القدرة على خلق مجتمع جديد يعبد الله الواحد ويدين بالإسلام لا غير، وهذا الجهد يقتضي تصفية العقول من رواسب الماضي البغيض الذي خلّفه المحتل، وتطهير النفوس من الخرافات الضالة، وهذا الانتاج الاجتماعي الجديد بدوره هو القادر على قيادة سفينة الثورة والكفاح، كفاح السلاح وكفاح الأفكار، يكافح وفق رؤية ثابتة، ومنهج قويم، ومبدأ واضح، وغاية سليمة.

والجزائري قبل أن يخوض حرب السلاح ضدّ المحتل ينبغي أن يتقن حرب الأفكار، حتى لا يكون فريسة سهلة المنال إن انتصر فضلا عن الانهزام، فإذا لم يتحرّر العقل من الجهل والشرك وفساد العقيدة، فإنّه لا يمكنه أن يخوض حرب السلاح ضدّ من سلبه حريته وعقله، لذلك كان استرجاع العقل سبيلا إلى استرجاع الحرية وطرد العبودية من عقله وأرضه.

♦ ب- العربية لغتنا:

كانت فرنسا تدبّر علنا وفي الخفاء بكل ما أُتيت من قوة لإحلال اللغة الفرنسية محلّ العربية، وإعادة صقل اللسان الجزائري على غير طبيعته التي خُلق عليها وتوارثها جيلا عن جيل مذ أنعم الله على البلاد المغربية برسالة الاسلام، الذي أنزل الله جل في علاهمعجزته القرآن بلسان عربي مبين، حتى كادت اللغة العربية أن تندثر في الجزائر. وكان العصب الحسّاس الذي أرادت فرنسا أن تقطعه حتى لا يشعر الجزائري بعروبته ولا يتذوّق طعمها وينسى امتداده إليها، أن عملت على ضرب الثقافة العربية الاسلامية بالجزائر، والتركيز على فرنستهم وخاصة سكان القبائل لاستغلال النزعة البربرية كما مرّ بنا، وكذا تفعيل سياسة التنصير والتجنيس، وتشويه التاريخ المحلي حتى يتسنّى لهم ادخال التحريفات والتشويهات عن انتمائهم العربي وأُمَّتِهم الاسلامية.

كما كان من الخطط التي اعتمدها المحتل لتوسيع دائرة الفرقة والتمييز بين الأمازيغ أبناء الجزائر الواحدة الذين عربهم الاسلام، هو نشر فيروس بين أوساط المجتمع الجزائري في منطقة القبائل يعمل على إضعاف مناعتهم ليقتنعوا بأنّ العرب استعمروا بلاد المغرب، وأنّ هدف الفاتحين المسلمين هو استغلال خيرات البلاد وممتلكات أهلها[28].

ولقد كانت جهود العلماء في مجال الحفاظ على طبيعة لسان الجزائري العربي المسلم وتقويم ما اعوجّ منه واصلاح ما أفسده المحتل، تأخذ منحا متصاعدا، وتحقّق نجاحا بعد آخر، ولعلّه ذاك ما

يلخّصه البشير الابراهيمي (1889--1965) في قوله: ''اللغة العربية هي لغة الاسلام الرسمية، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان، كل منهما يقتضي وجوب تعلّمها فكيف إذا اجتمعا؟ حق من حيث أنها لغة دين الأمة بحكم أنّ الأمة مسلمة، وحق من حيث أنّها لغة جنسها أن الأمة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها تعليمها، وذلك كله لأنها مفتاح الدين، أو جزء من الدين''[29].

والابراهيمي من خلال هذا النص، يبيّن أهمية اللغة في التاريخ الاسلامي لكونها لغة القرآن، ولا يمكن للإنسان أن يفهم حقيقة الاسلام ويمتثل لأحكامه بمرونة تامة إلا إذا فهم اللغة العربية، فضلا عن القول أنّه يبحر في دراسة تعاليمه ومبادئه وأسسه، ذلك أنّ هذا الأخير يتطلّب ضلوعه فيها وتحكمه في قواعدها. والعربية هي جزء من هوية الفرد الجزائري لا يمكنه أن ينسلخ عنها، فإذا انسلخ منها كان كالجسم الذي انسلخ منه جلده، فأضحى عريانا لا يمكنه أن يبرأ إلا إذا عاد إليه جلده.

وهو إلى جانب هذا، يسوق لنا طريقة الحفاظ على هذه اللغة، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بتعليمها في المدارس والكتاتيب والتركيز على ذلك، بل وجعل تعلّمها من أسباب فهم الدين وادراك تعاليمه، فتكون فضلا عن أنّها جزءًا من هويته، وسيلة لفهم الأجزاء الأخرى منها.

كما أنّ البنيان الثقافي الذي شيّده العلماء الجزائريون المسلمون كان حصينا، واستطاعوا بفضله أن يأُووا بداخله عقل وقلب الجزائري من وساوس الشيطان الفرنسي لهم، للوقوع في جريمة التخلّي عن عروبتهم والانقلاب عليها، وذلك تحت شعار ''العربية لغتنا''. فالجزائريون شعب واحد في الدين واللغة والتاريخ، والمشاعر والأحاسيس أيام السلم أو الحرب في ظلال الحرية أو ظلم الاستدمار. وفي هذا المضمار، يقول ابن باديس سنة 1938 في مقال بعنوان ''كيف صارت الجزائر عربية'' : ''ما من نكير أنّ الأمة الجزائرية كانت أمازيغية من قدم عهدها وأنّ أيّ أمة من الأمم التي اتصلت بها ما استطاعت أن تقلّبها عن كيانها ولا تخرج بها عن أمازيغيتها أو تُدمجها في عنصرها، بل كانت هي تبتلع الفاتحين، فينقلبون إليها ويصبحون كسائر أبنائها ، فلمّا جاء العرب وفتحوا الجزائر فتحا اسلاميا لنشر الهداية ...واقامة العدل الحقيقي بين جميع الناس لا فرق بين العرب الفاتحين والأمازيغ أبناء الوطن الأصليين. دخل الأمازيغ الاسلام وتعلموا لغة الاسلام العربية طائعين، ووجدوا أبواب التقدم في الحياة كلها مفتوحة في وجوههم، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة ونافسوهم في مجالس العلم والأدب وشاطروهم سياسة الملك وقيادة الجيوش. وقاسموهم كل مرافق الحياة، فأقام الجميع صرح الحضارة الاسلامية، يعربون عنها وينشرون لواءها بلغة واحدة هي اللغة العربية الخالدة، فاتحدوا في العقيدة والنحلة. كما اتحدوا في الأدب واللغة فأصبحوا شعبا واحدا عربيا متّحدا غاية الاتّحاد، ممتزجا غاية الامتزاج، وأيّ افتراق يبقى بعد أن اتّحد الفؤاد واتحد اللسان؟''[30].ومقولة ابن باديس تلخّص لنا تاريخ العربية في الجزائر وصلة شعبها بها، وما كان بينهما من أحداث صيّرتهما جسدا واحدا، فلا العربية يمكنها أن تستغني عن جسمها، ولا الجزائري يسمح بأن تغادره روحه.

إنّ صلة الجزائري بعروبته أصيلة وعريقة وضاربة جذورها في أعماق تاريخ الجزائر البعيد؛فلقد كان لذلك العربي الفاتح الفضل في نشر الرسالة المحمدية في بلاد المغرب، وبهذه الأرض كان الأمازيغي عونه وشريكه في توسيع نطاق الاسلام ودائرة معتنقيه، ثم بعد ذلك امتزج العربي بالبربري، وشكلا مجتمعا واحدا له أعرافه وتقاليده المستوحاة من ينابيع الاسلام. ومع تدفّق العرب الهلالية إلى بلاد المغرب الاوسط

مع مطلع النصف الثاني من القرن 5هـ/ (11م) تزايد عدد العرب في الجزائر، وانتشروا في نواحيها وأقاليمها، وانصهر الجميع في بوتقة العروبة والاسلام، وحسّنوا كثيرا من لسان الجزائريين العربي[31].

وعلى منهج ابن باديس سار بقية علماء الجمعية، حيث استنكروا مشاريع فرنسا التغريبيةوالتفريقية، وحاربوا سياسة''البربرية'' بكل الوسائل المتاحة بالعمل الصحفي أو الدعائي أو التعليمي والتربوي وغيرها،وهاجموا النخب الفرنسية التي سارت في فلكها بشدّة من مؤرّخين، وكتّاب، وأدباء، ورجال الدين. ولعل من بين ما يُبرز فشل فرنسا في مسعاها أنّ من علماء الجمعية وأعضائها وكثير من تلامذة ابن باديس النجباء الذين كانوا منحدرين من منطقة القبائل كانوا سيفه المسلول في وجه سياسة التغريب الفرنسية والسياسة البربرية، ومن ذلك –على سبيل المثال لا الحصر– ''الفضيل الورتلاني''، و''السعيد الصالحي''، و''باعزيز بن عمر''،فهذا الأخير يذكر بو الصفصاف بشأنه أنّه كان يكتب مقالات راقية في صف جمعية العلماء، كما كانوا يعتقدون جازمين أنّ العربيّ هو من يتكلم اللغة العربية لغة الجزائري المسلم.هذا، ويضاف إليه ذلك النشاط الكبير الذي تقوم به الزوايا بمنطقة القبائل في سبيل كشف حقيقة المحتل الفرنسي ومكره وخُدعه تحت مسمّى البربرية ونحوها، والتي كان أصحابها من أتباع المصلحين[32].

وعلى هذا الأساس يذكر الدارسون لتاريخ جمعية العلماء المسلمين أنّ علماءها لم يغفلوا في عملية الاصلاح والتربية عن تعليم اللغة العربية وفق الطرق التعليمية والتربوية العصرية للحدّ من عملية التغريب والتجنّس والقضاء عليها، ومن ذلك أنّ مبارك الميلي (1897-1945) استطاع أن يستقطب حوله اهتمام الشباب بمنطقة الأغواط التي أقام بها مدة سبع سنوات، وذلك حين أحسن اتباع طرق التدريس العصرية، التي جعلت الشباب يجتمع حوله ويأخذه الشوق لإدراك أسرار اللغة ومكنوناتها البديعة، واستنباط المعاني والوقوف على دلالتها[33].

كما ثار ابن باديس على المناهج وطرق التدريس السائد في عصره ووصفها بالجمود والسطحية، وأنها لا تنتج إلا معلما جامدا مقلدا، ودعا في مقابل ذلك إلى اتباع الطرق العصرية التي تدفع إلى التفكير الجاد والابداع المتميّز[34].

ولا ريب أنّ الطريقة في التدريس تلعب دورا لا يستهان به في شدّ انتباه الطلبة، واقبالهم على تعلّمها، وشغفهم بذلك، خصوصا عندما تكون الوسائط متعدّدة والمنافسون للمادة المدرَّسة كُثُر بل والأكثر من ذلك حين أن تكون الجزائر ترزح تحت وطأة المحتلبما يُحيل إلى تشتُّت اهتمامات الطلبة، فيكونآنئذ صاحب الطريقة المثلى في التدريس هو من يستقطب الطلبة إلى درسه ويشدُّ انتباههم إليه، فضلا عن حذق المدرّس وكفاءته العلمية وأخلاقه وفعالية قُدراته، لذلك فقد اضطلع علماء الجمعية بطرق الدعوة الاسلامية الصحيحة وطرائق التدريس لإقناع الناس بالاصطلاح القويم، وكان سبيلهم إلى تفعيلها هو استعمال كل الأساليب العلميةالمتاحة، كالتركيز على البيان العربي الساحر، والتذكير بأمجاد الأمة العربية الإسلامية المجيدة[35].

يُذكر في هذا المضمار أيضا، أنّ المعاصرين الفرنسيين لاحظوا أن العلماء أدخلوا بيداغوجية وطنية جديدة في حملتهم التعليمية لم تكن معروفة في الجزائر قبل الحرب، ومن ذلك أنّ ابن باديس استخدم هذا النمط الجديد من مناهج التدريس في محاضراته التي كان يلقيها بالمساجد الجزائرية بغية اعداد طلبة الجزائر لمسؤولياتهم الوطنية، فكان يعلمهم المحفوظات العربية والأناشيد الوطنية التي من شأنها أن تُقوّي الحماس في صدورهمضد المحتل وتزيد من روابط صلتهم بعروبتهم وتاريخ بلادهم العريق؛ فكان الطلبة يحفظونها

وينشدونها في المناسبات الاجتماعية والدينية، وكانت تبعث فيهم وفي غيرهم ممن يسمعها ويحضرها روح الوطنية والتضامن الاسلامي والحرية[36].

وبعيدا عن النظرة الضيقة، دعا علماء الجمعية إلى تجديد عروبة الشمال الافريقي ووحدته؛ فالبلاد المغربية والعربية هي وحدة لا تتجزأ حتى وان فصلت بينها الحدود الجغرافية، واللغة هي أحدى موارد امداد هذه الوحدة، واللغة بالإضافة إلى الاسلام هي الجامع والموحد بين شعوب المغرب والوطن العربي، وذلك بفضل الاسلام الذي أقرّها لغة للقرآن ولغة للتخاطب والحوار. وفي هذا السياق دعا البشير الابراهيمي إلى "عروبة الشمال الافريقي بجميع أجزائه كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء والينابيع التي انفجرت منها الأخلاق والخصائص، والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد، وهي أثبت أساس، وأقدم عمر، وأصفى عنصر من انجليزية الانجليز، وألمانية الألمان، هذه العروبة، الأصيلة، العريقة في هذا الوطن هي التي صيّرته وطنا واحدا لم تفرّقه إلا السياسة، سياسة الخلاف في عصوره الوسطى، وسياسة الاستعمار في عهده الأخير"[37].

ولبلوغ ذلك، أدخل العلماء تدريس تاريخ العرب إلى مؤسسات التدريس بالجزائر، وكان الهدف من ذلك هو بعث عاطفة الولاء للوطن الجزائري بصفة خاصة والعالم العربي والاسلامي بشكل عام[38]، وكذا تعليم الطلبة أنّ جميع سكان افريقيا الشمالية من أصل عربي، وأنّ للعرب السبق في العديد من الابتكارات والأبحاث العلمية، فإليهم الفضل في اكتشاف أمريكا، وهم أول من حاول الطيران، وأنّ ما عليه أوروبا آنذاك من تطوّر كان انطلاقا مما بلغته الحضارة الاسلامية من تطور ورقي في العصر الوسيط، وأنّ ذاك التطور ليس حكرا على الغرب، وإنّما يمكن للعرب والجزائريين تدارك ما فاتهم أو ما فرّطوا فيه إذا ما رجعوا إلى القرآن، وتشبّثوا بالإسلام دينا والعربية لغة والجزائر وطنا، وفهموا مكنونات هذا الكتاب وعملوا بما جاء به وأقره، عندها سيستعيدون مجدهم الضائع، ويحظون بأن يكونوا أمة القرآن وأمة العلم والاسلام.

كما أنّه وبفضل العلماء عرف الجزائريون تاريخهم واستفاقوا من سباتهم، وأبحروا بين أحداثه، ترسم هذه الأخيرة في مخيالهم فصول الصراع التي خاضها أجدادهم عبر الزمن لاصطياد الحرية، وامتطاء جواد الاستقرار والتطور، وتحديد ملامح الكيان الذي يعيشون فيه وبناء حضارته، وأدركوا عندها أنّ المسؤولية ملقاة على عاتقهم لمواصلة درب الصراع من أجل الحرية والسيادة التامة على الممتلكات، واتمام مسيرة البناء لبلوغ الرقي والازدهار[39].

♦ ج- الجزائر وطننا:

وطن الجزائر، هي تلك البلاد التي كانت تعرف بعد الفتح الاسلامي بالمغرب الأوسط وبقيت على ذلك حتى القرن السادس عشر للميلاد، أين اجتمعت البلاد تحت الادارة المركزية العثمانية، فاتخذوا لهذه البلاد عاصمة في منطقة جزائر بني مزغنة الساحلية، فعمرت المنطقة وتوسع عمرانها كثيرا، فأطلقوا عليها اسم الجزائر، ثم عمّموا الاسم على كامل البلاد.

وإن كنّا في هذه الدراسة لسنا بصدد الخوض في غمارة مسألة إلى أي عهد يرجع طرح فكرة الكيان الجزائري، ومن صاحبها؟وما دامت دراستنا تتعلّق بشعار الجمعية وأبعاده التاريخية، فإنّنا نقول أنّ ابن باديس قد طرح الفكرة خلال الثلاثينيات من القرن الماضي. وفي هذا السياق يقول أبو القاسم سعد الله: أنّه وعلى الرغم من اتّفاق الكثير من الكتاب أنّ علماء الجمعية بعيدين عن السياسة، إلاّ أنّهم يتّفقون في الوقت ذاته على أنّ هدفهم البعيد هو السياسة، لأنّهم لا محالة يصطدمون بها في مسيرة الاصلاح

التي يخوضون غمارها، ذلك أنّ ادارة المستدمر لا محالة تكون لنشاطهم بالمرصاد، لأنها تعتبرهم خطرا على وجودها بالجزائر، فلا خيار لهم عندها إلاّ ولوج ميدان السياسة[40].

ولقد مرّ بنا أنّ المحتل ركّز أيما تركيز على عامل التفرقة من حيث الأصل والجنس والعرق والمذهب لتحقيق مآربه الاستنزافية لبلاد الجزائر وشعبها، وهذه السياسة لو نجحت فإنّها تُضعف شعور الجزائريين بوطنيتهم وايمانهم بها، وتجعلهم يستسلمون بسهولة لاعتناق شخصية غريبة عن كيانهم من صنع المحتل الفرنسي على مقاس بعض العقول المخمورة.

وقد تصدّى العلماء المصلحون لهذا النشاط العدائي الفتاك، وسارعوا في خضمه إلى تغذية عقل الشباب الجزائري وفكره بالأفكار الوطنية، والمشاعر الدينية، من خلال تدريسه لتاريخ بلادهوجغرافيتها، ودينه، ولغته، لأن الجزائري لا يحيا إلاّ بذلك في وطنه. وعليه، نجد أنّ فرنسا لما أدركت أنّ الخطر بات يُحدق بها من طرف علماء الجمعية، وأنّ هؤلاء العلماء قد أحدثوا تغييرا جذريا في العقلية الجزائرية بعدما صار الجزائريون لا سيتنشقون إلا هواء الجزائر العربية المسلمة بين أحضان الوطن الواحد، سارعت إلى غلق المدارس والمساجد والكتاتيب التي كانوا يُدرِّسون فيها[41].

وقدكان للتكوين العلمي الذي حظي به علماء الجمعية وتنشئتهم العلمية والتربوية دورها الفعّال في تحقيق مآربهم القريبة والبعيدة لإفشال مشاريع المحتل ومخطّطاته التدميرية، فابن باديس قوة علمية وبحر من الدهاء في الاصلاح، والتربية، والسياسة، والمقاومة، والابراهيمي كان أحد بحور العلوم الانسانية ورائدا في الاصلاح، وكذاك شأن البقية من علماء الجمعية، الذين ما كانوايدرسون ويحصّلون من الشهادات والعلوم إلاّ ليخلصوا بلادهم من ربقة الجهل وعبودية المحتل وشراك الظلم والمهانة. ولا ريب أنّ هذا التكوين الرفيع، والمنهج السليم في الاصلاح والمقاومة، وتسخيرهم لكل امكاناتهم في سبل انقاذ الجزائر من براثن الاحتلال قد زاد من وطنيّتهم عمقا وترسيخا، ما جعل الشعب الجزائري يلتفُّ حولهم ويكون عونهم لتحقيق طموحهم وطموح كل الجزائريين.

وبفضل العلماء، عرف الجزائريون تاريخهم ولامسوا روح وطنيّتهم وتشرَّبوا من ينابيعها، وانبسطت بين أيديهم مشاهد فصول المقاومة التي انتصب لها سلفهم في سبيل الحفاظ جغرافية الجزائر ومكنون حضارتها، ودفع كل صنوف العاديات التي تحيق بحاضرها ومستقبلها، والسهر على التحيين الدائم لفعالية التأمين وتقوية معاول الدفاع ومنظومة التحصين[42].

ولعلّ كتاب المؤرخ مبارك الميلي "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" الذي انتهى من كتابة الجزء الأول منه سنة 1928 والثاني سنة 1932، ليُبيِّن وعي علماء الجمعية بضرورة إعادة كتابة تاريخ الجزائر كتابة صحيحة بعيدة عن كل التزييف والتحريف الذي طاله من طرف الكتابة الفرنسية[43].ولقد ركّز الميلي في كتابة تاريخه على فكرتي الاصلاح والوطنية، وسعى إلى كشف التاريخ الجزائري للجزائريين، الذين أضحوا –وللأسف– يدركون تاريخ الأجانب ولا يعقلون تاريخهم المجيد، وإذا كان منهم من يدرك جزءا من تاريخ بلاده فإنّ الكثير مبتور من ذاكرته فصول عدّة منه وخاصة حقبة التاريخ الوسيط؛ التي كثيرا ما تقفز عليها الكتابة الفرنسية عن قصد لبتر تاريخ الجزائر وفصله عن أزهى عصوره أيام حضارة الاسلام، وحتى تربط تاريخهم بالروم والوندال الذيناحتلوا بلاد الجزائر في سالف الأزمان.

كما يُبيّن ادراك العلماء أيضا لوقع دراسة التاريخ على احياء وطنية الجزائريوقوميّته وهويته

وشخصيته، التي تريد فرنسا أن تبتلعها بأغاليطها وأكاذيبها وتزييفها لحقائق التاريخ. ويذكر سعد الله أنّ أحد الفرنسيين يقول عن تاريخ الميلي أنّه ذكريات من الشهامة الوطنية التي تساعد الجزائريين على بعث نهضتهم السياسية والوطنية، أمّا الجزائريون فقد اعتبروه بتاريخه باعث الأمة الجزائرية من جديد[44].

وكانللنشاط الدؤوب والديناميكية العالية من طرف العلماء لمقاومة الفكر الاستعماريوالنزعة البربرية–التي خلقها المحتل وأشكال التقسيم العرقي والاثني التي انتهجها–صداه الايجابي الكبير في حسم نتائج معاركهمالفاصلة؛ وذلكبضحد أباطيل المحتل، وبناء العقل الواعي بمصير بلاده، وتاريخ أجداده، وطينة لسانه، وهذه كلّها مجتمعة تحت عنوان: الاسلام ديننا، والعربية لغتنا، والوطن الجزائري بلادنا وأرضنا، ولا حياة للجزائريين إلاّ بها مجتمعة.

في هذا المضمار، يذكر الكاتب الفرنسي ''تيان لاكوتير''(T.Lacotire): أنّ مُجدِّدي فكرة الوطن الجزائري هم بالأحرى الذين أسسوا جمعية العلماء ومن الممكن أن نجد أن بيان هذا المذهب في ردّ ابن باديس على مقال فرحات عباس؛ إذ عندما نفى هذا الأخير وجود أمّة جزائرية في التاريخ، ردّ عليه ابن باديس بأنّه ''نظر في الماضي والحاضر ووجد أنّ الأمة الجزائرية قد تكوّنت عبر العصور، وأنّ لهذه الأمة تاريخها ودينها ولغتها وثقافتها وخصائصها، وأنّ هذه الأمة ليست فرنسية ولا تستطيع أن تكون فرنسية ولا تريد أن تكون فرنسية''[45]. و''لا كوتير''بقوله ذاك، يعزو لابن باديس ورفاقه في الكفاح ضمن زمرة العلماء –الذين قادوا سفينة الحركة الوطنية ضدّ المحتل الفرنسي بفكرهم– الفضل الأكبر في احياء فكرة الوطن الجزائري، التي سعى المستدمر سعيا حثيثا لدفنها إلى الأبد لكنه فشل أمام نشاط الجمعيةالفعال.

كما أنّه وللحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية من الاندثار والذوبان في مستنقع المحتل الساعي لقطع الحبل المتين الذي يشدّ الجزائري إلى وطنه وتاريخه ويفصله عن ذلك فصلا تاما فيصير مبتور الهوية فيلبسه عندها هويته هو، عمل العلماء وفي طليعتهم ابن باديس على وضع حدّ لنشاط المحتل لتجنيس الجزائريين وادماجهم في المجتمع الفرنسي، وندّدوا بقوة ضد قوانينه التي تكرّس التمييز بين الجزائريين وتُهينهم، واعتبروا هذه القوانين خطرا على وجود الكيان الجزائري،وأصدرواالفتاوى بتكفير كل مسلم جزائري يتنازل عن أحواله الشخصية، بل إنّ العربي التبسي (1895–1957) كما ينسبه أقاربه وتلامذته له كان أشدّ عداوة للمحتل الفرنسي، حيث يقول: ''من عاش فليعش بعداوته لفرنسا ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر''. وقال أيضا: ''من يتزوّج فرنسية يدخل الاستعمار إلى بيته''[46].

وبالموازاة مع الحرص اللامتناهي من علماء الجمعية على احياء روح الوطنية وتقوية المفعول الذي يُغذِّيها في نفوس الجزائريين حتى تقوى مناعتهم على صدّ أيّ فيروس لضربها حتى ولو كان قاتلا، دعوا أيضا إلى حسن الجوار بين شعوب المغرب العربي وحسن التعايش معها، ووحدة شعوبها وكذا شعوب العالم الاسلامي قاطبة، وتوحيد الجهود لصدّ الغازي النصراني القادم من الشمال المدجّج بأسلحة التفرقة والتشتيت والتمييز لبلوغ مآربه التوسعية[47].

خاتمة:

في ختام دراستنا هذهلا يسعنا إلاّ أن نشيد بالجهود الاصلاحية الجبارة التي بذلها علماء الجمعية في خدمة القضية الوطنية للنهوض بالعقل والفكر الجزائري لإدراك حاله والتخطيط لمآله، تخطيطا محكما جدير بأن يقود سفينة الجزائر قيادة سليمة لإرسائها في ميناء الحرية والاستقلال.

كما أنّه ونظير الأهمية الكبيرة التي ينطوي عليها الاصلاح الديني والتعليمي والتربويمن أجل إعداد جيلصاحب فكر ناضجوقادر على خوض غمار الكفاح العسكري المسلح، كان لعلماء الجمعية الفضل الكبير في غرس بذور الوطنية واحياء الاسلام والعروبة في نفوس الجزائريين،حتى أُعتُبِرَ هؤلاء العلماء بمثابة رسل الثورة التحريرية والمنظرين لها.

وكانت جهود العلماء المسلمين الجزائريين الاصلاحية المجسَّدة في شعار الجمعية بأبعاده التاريخية، جسورا متينة مدّها العلماء بين حاضر شعبهم وماضيه العريق، ليدرك من خلالها أصله الأصيل وعرقه المتين، ودينه الطاهر، ولسانه العربي، وكيانه الحقيقي المتشكّل عبر العصور والدهور، وفصول تاريخهبما تجسّده من بطولات شعب لا تحصر على مرّ التاريخ في سبيل مقاومة العاديات والمغيرات، وبناء الحضارة الانسانية المستوحاة من عمق الشريعة الاسلامية الطاهرة، والمشحونة بالعروبة الأصيلة.

الهوامش :

(1)- عبد الكريم بو الصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالجمعيات الأخرى (1945-1931) دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار،الرويبة،الجزائر،1996، ص37.

(2)-المرجع نفسه،ص37.

(3)- وذلك خصوصا بعد انهيار السدّ العالي والحامي لمعظم أجزاء البلاد العربية الاسلامية؛ وهو انهيار القوة العظمى الدولة العثمانية بعد الضعف الذي دبّ في جسمها، في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

(4)- محمد مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، مكتبة النهضة الجزائرية، 1966، ط2، ص102، أبوالقاسم سعدالله: الحركةالوطنيةالجزائرية،دارالغرب الاسلامي،بيروت،لبنان، 1992، ط4، ج3، ص95.

(5)-كان شعارها ''الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء''.

(6)-للمزيدمن التفصيل،أنظر: بو الصفصاف: المرجع السابق،ص61.

(7)-وغير ذلك من أهداف الجمعية التي لا يسع المقام لحصرها في هذه الدراسة.

(8)- ويذكر أبو القاسم سعد الله أنّ من كتب عن أهداف جمعية العلماء المسلمين، كان منهم من حصرها في التعليم العربي، ومحاربة الخرافات، وتطهير الاسلام مما علق به من شوائب، بينما ذهب البعض الآخر إلى أنّهم ركّزوا على محاربة المحتل ومعاداته بكل السبل، في الوقت الذي سعى البعض إلى تقزيم دور العلماء في القضية الوطنية حين زعموا أنهم ''مجموعة من أنصاف المثقفين جاءوا إليها من الخارج''، سعد الله: المرجع السابق، ج3، ص86، بو الصفصاف: المرجعالسابق،ص109،71. أمّا البشير الابراهيمي فقد لخّص أهداف الجمعية في نقطتين أساسيتين هما: ''إحياء مجد الدين الاسلامي، واحياء مجد اللغة العربية. ومع هذا،

فإنّه وفي حقيقة الأمر لا يمكن أن نحصر أهداف الجمعية على ما ساقه البعض من المؤرخين والدارسين، أو حصرها في اتّجاه واحد، وذلك أنّ نشاء العلماء المسلمين ما اقتصر على ما سطّروه في قانون الجمعية الأساسي، وإنّما كان نشاطهم أوسع من ذلك بكثير، وشمل مجالات أوسع. وقد فصّل في هذه النقطة عبد الكريم بو الصفصاف، وبيّن أبرز أهداف الجمعية في الدراسة الأكاديمية التي خصّها بها، انظر: بو الصفصاف: المرجع السابق، ص112-111.

(9) - محمد خيرالدين:مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 1، ص 296، سعدالله: المرجع السابق،ج2،ص397.

(10)- سعدالله: المرجع السابق،ج3،ص86.

(11)– سورة،آلعمران،الآية: 19.

(12)– عماد الدين ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح، مصطفى السيد محمد وآخرون، قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ج3،ص36.

(13)-محمدالصالح الصديق: الامام الشيخ عبدالحميد ابن باديس من آثاره ومواقفه، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر، 1983،ص38.

(14)-أحمدتوفيق المدني: هذه هي الجزائر،مكتبةالنهضةالم صرية،القاهرة،مصر، 2001،ص10-9.

(15) – بوالصفصاف: المرجع السابق،ص113.

(16)–محمدابن الأثير: الكامل في التاريخ،صحه، محمد الدقاق، دارالكتب العلمية، بيروت،لبنان،1424هـ-2003م،ط4، مج9،ص86،رشيدبورويبة: الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007م، ص27-26.

(17)- ابن خلدون : العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة، راجعه،سهيل زكار، دارالفكرللطباعةوالنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م، ج6، ص27،إسماعيل العربي : دولةبني حمادملوك القلعةوبجاية،الشركةالوطنية للنش روالتوزيع،الجزائر،1998م،ص202،عبدالحليم عويس: دولةبني حمادصفحةرائعةمن التاريخ الجزائري،دارالصحوة للنشروالتوزيع،القاهرة1999م، ط2، ص180.

(18)- بوالصفصاف: المرجع السابق،ص127.

(19)– المرجع نفسه،ص128.

(20)– سعدالله :المرجع السابق،ج3،ص83.

(21)–المرجع نفسه،ص86.

(22)– محمدالعرباوي: في مواجهةالنزعةالبربرية وأخطارها الانقسامية،منشورات اتحادالكتابالعرب،دمشق، 2005،ص137،

محمود إسماعيل عبدالرزاق: الخوارج في بلادالمغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء ، المغرب، 1406 هـ1985-م، ط2،ص 230.

(23)– محمد بوركبة: «الحياةالاجتماعية على عهد الدولة الرستمية (296-160هـ/-777 909م) » ،رسالة ماجستي رفي التاريخ والحضارةا لإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1421-1420هـ/-1999 2000م،ص15،محمدالناصري:«عوامل اختفاءالمذهب الإسماعيلي من إفريقية الشمالية»، مجلة دعوة الحق ، العدد العاشر ، السنة الأولى، وزارة عموم الأوقاف، الرباط،المغرب، 1377هـ1958-م،ص32.

(24)-بوالصفصاف: المرجع السابق،ص132.

(25)–سورةالنساء،الآية: 116.

(26)– سورةالحجر،الآية:09.

(27)– بوالصفصاف: المرجع السابق،ص206.

(28)–المرجع نفسه،ص-130 133.

(29)– سعدالله: المرجع السابق،ج2،ص393.

(30)– بوالصفصاف: المرجع السابق،ص131.

(31)– المدني: المرجع السابق،ص29. وحول الهجرة الهلالية وآثارها على بلادالمغرب الأوسط، انظر: ابن الأثير: المصدر السابق ، مج8 ، ص86،ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، شهاب الدين النويري: نهايةالإرب في فنون الأدب،تح،عبدالمجيدترجيني،دارالكتب العلمية،بيروت، ج24، ص110.

(32)–بوالصفصاف: المرجع السابق،ص134-1343.

(33)- سعدالله: المرجع السابق، ج 2،ص404، بوالصفصاف: المرجع السابق، ص81.

(34)– عمارطالبي:z ابن باديس حياته وآثاره، دار النهضة ، دمشق، ج3،ص219.

(35)– بوالصفصاف: المرجع السابق،ص120.

(36)- سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص400.

(37)-بو الصفصاف: المرجع السابق، ص71-70.

(38)- الزبير بن رحال: الامام ابن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية -1889 1940، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1997، ص29.

(39)-انظركذلك:سعدالله:المرجع السابق، ج2، ص401 .

(40)-المرجع نفسه،ص87.

(41)- بوالصفصاف: المرجع السابق،ص139.

(42)-سعدالله: المرجع السابق،ج2،ص401.

(43)-المرجع نفسه،ص401.

(44)- المرجع نفسه،ص401.

(45)-أحمد الخطيب: جمعيةالعلماءا لمسلمين الجزائريين وأثرها الاصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص241.

(46)-الخطيب: المرجع السابق،ص241،سعدالله: المرجع السابق، ج3،ص86.

(47)-سعدالله: المرجع السابق،ج3،ص105.